

الاصدار الأول من إصدارات الجامعة الإسلامية في ولاية مينيسوتا الأمريكية لعام 2010م

الإهداء

إلى من عشت في ظلالها يوم أن داهمني اليتم وأنا في مشرق عمري، فكانت هي الحياة من حولي، والمُعين بعد ربّي.

إلى من سقتني كأس الأمل لمّا غشاني القنوط، فأنست الحياة في رحابها، واستقبلت السنين بصحبتها، حتّى روتني من معين صبرها، فقوي ساعدي، واشتدّ أزري، وسكنت نفسي.

إلى من علمتني طريق ربّي، فأدركت أنّ الحياة مزرعة، قطافها يوم اللقاء ﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بنون إِلاّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

إلى من أسمعتني قرآن ربّي وأنا طفل صغير، فكان صوتها الرخيم الحنون، أنغاماً تطرق سماء سمعي، وصدىً يجوب أعماق قلبي وفؤادي.

إليك يا أعزّ من أحببت بعد الله ورسوله، أهديك أجلّ ما خطّ قلمي، وجاب بعقلي وخاطري، أهديك ظلالاً من فاتحة كتاب ربّي.

حاجتي إليك وقد تجاوزت الخمسين سنة من عمري، أن أحضى بدعوة منك في ساعة المناجاة بينك وبين ربي ومولاي، لأن يجمعني بك فيما بقي من عاجلتي، وأن يُحسن خاتمتي ، ولا يحرمني لقاءَك وصحبتك في آخرتي، في دار سلامته وكرامته.

وأخيراً: كان عهداً في ذمتي لأن أسعى ما حييت إلى مرضاة ربّي، ثمّ رضاك، فأسأل الله القدير أن يعينني على الوفاء به، وأن يحفظك ويرعاك.

ابنك فاروق

المقدمة

أحمدك ياربّ حمدا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك، وأشكرك ياmoلاي على وافر نعمتك وجزيل عطائك، وأصلي وأسلم على نبيك ورسولك الأمين محمد، الهادي إلى صراطك ورحمتك، وعلى آله وصحبه، ومن سلك هديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فحينما عقدت العزم على وضع هذا المؤلف، داهمتني مشاعر غريبة، اختلط فيها القلق بالطمأنينة ، والقوة بالضعف، واليأس بالأمل، فلم تجد السكينة إلى نفسي سبيلاً حتّى أسعفني الله بالعيش في ظلال سورة الفاتحة، بوابة الصلاة ، وبوابة الخير و السعادة والشفاء.

ولمّا عشت معانيها ودلالاتها، زاد فقري لغنى ربّي ، وضعفي إلى قوّته، ووحشتي إلى أنسه، وحاجتي إلى عطائه، وشوقي إلى جنّته.

لقد أيقنت أنّ غروب حيرتي، وشروق أملي، وفتور قلقي، واستقرار تفكيري، وغياب أحزاني، وتخفيف غربتي ووحشتي, في مظلّة القرآن، وفي ظلال فاتحته، فلم أر من كبير في هذا العالم سوى الذي كبر بالعيش في رحابها، وتساند مع الوجود بفيضها، وسُقي الفضيلة من نبعها وموردها، وأضاء طريقه بجذوة من نورها، فشاء الحقّ سبحانه أن يُلزم عباده بتكرارها في كلّ صلاة يقيمونها، بل

وفي كلّ ركعة يؤدونها، فهي فاتحة الصلاة، وفاتحة القرآن، وفاتحة الخير والشفاء.

ولأجلها آثرت أن أفرد كتابا مستقلا للحديث عن معانيها الزاخرة، ودلالاتها الوافرة، مع بيان جوانبها التربوية التي أفرزتها تلك المعاني والدلالات، جمعاً بين التفسير والتربية، لتلتقي الدلالات بميادينها، والمنطلقات بمستقرها، وليكون القرآن العظيم مورد سقيا لمن شاء أن يرد نبعه، ومنطلق صدق لمن أراد أن يجوب مسرح الحياة في ظلاله. ولعلّ ما حواه هذا الجهد اليسير، يمثّل خطوة صادقة في تحقيق الغاية، ولو بالقدر الذي وسعت فيه طاقتي، واتسعت له معرفتي، وبانت فيه حجتي.

أردت في هذا الكتاب أن أجوب ميدان الفكر التربوي من بوابة القرآن الكريم، ليكون مُدخل صدق لمن أراد كمال الغاية في مسيرة التربية والتعليم، ومستقرّ أمان للسائرين في رحابه، والسالكين تعاليمه وأحكامه.

ولم أدّخر وسعاً في خدمة أمّ القرآن، فإن عجزت عن بلوغ الغاية، فذلك من سمات بشريتي، وإن أصبت الحقّ فيها فذلك من فضل ربّي (النحل 53)

أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل، المتواضع في حجمه، العظيم في غايته ومقصده، في ميزان صالح عملي يوم ألقاه ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلاّ منْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء 88،89).

منهج البحث

في هذا الكتاب اتبعت المنهجية التالية:

أولاً: قمت بتفسير آيات سورة الفاتحة بما يكفي للتعرف على الدلالات التربوية فيها، دون الخوض في تفصيلات وخلافات علماء التفسير التي قد تكون مجدية في دراسات أخرى.

ثانياً: اعتمدت في هذا الكتاب أصحّ التفاسير الواردة في آيات الفاتحة، دون الإسهاب في دلالاتها والاتساع في معانيها، خصوصا إذا لم يلزم الأمر ذلك، لأجل أن لا أُحمّل موضوعات الكتاب أكثر ممّا ينبغي.

ثالثاً: تحدثت عن الدلالات التربوية عقب تفسير كلّ آية من سورة الفاتحة، وهذه الدلالات جاءت ثمرة للمعاني والمرادات التي تضمنتها كلّ آية.

رابعاً: حرصت قدر الإمكان على اعتماد الروايات والآثار الصحيحة والمسندة، كي لا أوقع القارئ في دائرة الشك والريب.

خامساً: عزوت الآيات الواردة في هذا الكتاب إلى مواطنها في المصحف الشريف، وكذلك الأحاديث النبويّة من مصادرها الأصيلة.

أهمية سورة الفاتحة

هي من السور العظيمة في القرآن الكريم، ولعلّ تكرار قراءتها في كلّ صلاة، بل وفي كلّ ركعة منها، سواء كانت فريضة أم نافلة، خير دليل على عِظَمِ مكانتها، وعلوّ شأنها، إضافة إلى أنّها شملت أسس العقيدة والعبادة، ومعالم الولاء والبراء، حيث تضمنت:

1- الثناء على الله عز وجل بأهمّ صفاته, جمعا بين صفات الجمال وصفات الجلال، فالله تعالى الوحيد الملك والمالك في يوم الدين، حيث ينادي في عليائه: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلا يجيب أحد، فيجيب سبحانه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر 16) فهو القهار والجبّار، وفي ذات الوقت هو ﴿الرحمن الرحيم﴾ وبذلك يعيش العبد بين الترهيب والترغيب، فتسيل دموع الخشية عندما تغشاه صفات الجلال هيبة ورهبة ﴿مالك يوم الدين﴾ وتسيل دموع الفرحة عندما تغمره صفات الجمال ﴿الرحمن الرحيم﴾ طمعا في رحمة المولى وعطائه.

2- تخصيص الله وحده بالعبادة، والاستعانة به دون غيره، لانفراده بكمال الصفات، فلا معبود مستحق للعبادة سواه، وليس لغيره القدرة على تلبية مطالب العباد، فلا يُستعان بمن هو دونه.

3- طلب العباد من ربّهم الهداية إلى الصراط المستقيم، ليتحرروا من الأوهام والخرافات التي أحدثها أتباع الديانات السابقة بسبب

تحريفهم وتبديلهم لقيم وتعاليم وحي السماء، ليعيش المؤمنون مظلة الولاء المطلق لسبيل النبي ﷺ و من تبعه من المؤمنين، والبراءة المطلقة من كلّ سبيل أو طريق أو مسلك لا يتصل بمنهج الله، ولا يستقي من نبعه الطاهر العذب.

أسماء سورة الفاتحة:

لسورة الفاتحة أسماء كثيرة، وكثرتها تدل على شرفها، وسموّ مكانتها بين سور القرآن العظيم، ومن بين أسمائها:

1- فاتحة الكتاب: سميت بذلك من غير خلاف بين العلماء، لأن قراءة القرآن تفتتح بها لفظا، وتفتتح بها الكتابة في المصحف خطّاً، وتفتتح بها الصلوات 1 . وقيل: لأنها مبدوءه على الترتيب المعهود في المصحف الشريف 2. وقد اشتهرت هذه السورة الشريفة بهذا الاسم في أيام النبي ﷺ 3 .

2- أمّ الكتاب : المراد به أصل الكتاب، والعرب تسمي كل ما يجري مجرى الأصل للشيء أماً له ومنه أم الرأس للدماغ وأم القرى لمكة وكل مدينة فهي أم لما حولها من القرى فكذلك أم الكتاب هو

---

1 انظر: التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي، ج1/ص144

2 انظر: روح المعاني، محمود الآلوسي، ج1/ص34

3 انظر: فتح القدير، محمد الشوكاني، ج1/ص14

الذي يكون أصلاً لجميع الكتب 1. ولكونها أصلا ومنشأً له، إما لأنّه يبتدئ بها، وإما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وجل والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده، أو على جملة من الأحكام النظرية والعملية التي هي سلوك الصراط المستقيم، ومعارج السعداء يوم الدين، ومنازل الأشقياء فيه 2.

وورد في القرآن أنّ المعني بأمّ الكتاب هو الحلال والحرام، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (آل عمران 7) وهذا الذي أشار إليه الإمام الحسن البصري رحمه الله.

وقيل: أم الكتاب اسم اللوح المحفوظ، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف 4) وفي قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد 39) أي: أصله وهو اللوح المحفوظ إذ ما من شيء من الذاهب والثابت إلا و هو مكتوب فيه3. ووردت اسمها كذلك (أمّ القرآن) في قوله ﷺ: (أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ

---

1 التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج19/ص53

2 انظر:إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود ج1/ص8

3 انظر : المصدر السابق ج5/ص27 ؛ التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي، ج27/ص167

السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ)1 وفي حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لا صَلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرأ بِأُمِّ الْقُرْآن)2

وعن أبي هريرة ﷺ أنّ النبي ﷺ سأل أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ بقوله: كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلاةِ؟ قَالَ فَقرَأَ: أُمَّ الْقُرْآنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلا فِي الإِنْجِيلِ وَلا فِي الزَّبُورِ وَلا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ).3

3- السبع المثاني والقرآن العظيم: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ 4 (الحجر 87) ولقوله ﷺ : (أُمُّ الْقُرْآنِ

---

1 صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم، حديث رقم (4427) ؛ سنن النسائي، كتاب: الافتتاح، باب: تأويل قول الله عزّ وجل: ﴿ولقد آتيناك سبعا ..﴾ رقم الحديث (913)

2 صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كلّ ركعة، حديث رقم (394)

3 سنن الترمذي، كتاب: فضائل القرآن ، باب: ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، رقم الحديث (2875)

4 أنظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1/ ص108، 112؛ وتفسير البيضاوي 1/ 16- 18

هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ)1. وقيل سميت بالسبع المثاني لأنّ آياتها سبع، ولأنها تثنى في قراءة القرآن والصلاة 2.

وقيل سميت بذلك لأنها استثنيت لهذه الأمة فلم تنزل على أحد قبلها ذخرا لها، فعن ابن عباس ﷺ أنه سئل عن السبع المثاني فقال: فاتحة الكتاب استثناها الله لأمة محمد فرفعها في أم الكتاب فادخرها لهم حتى أخرجها ولم يعطها أحدا قبله 3 .

ملحوظة: ليس في تسمية الفاتحة (المثاني) ما يمنع من تسمية غيرها بذلك، قال تعالى : ﴿كتابا متشابها مثاني﴾ فأطلق على كتابه مثاني لأن الأخبار تثنى فيه وقد سميت السبع الطوال أيضا مثاني لأن الفرائض والقصص تثنى فيها. قال ابن عباس ﷺ: أوتي رسول الله ﷺ سبعا من المثاني، قال (السبع الطوال) وهي من البقرة إلى الأعراف ست واختلفوا في السابعة فقيل يونس وقيل الأنفال والتوبة.4

---

1 سبق تخريجه.

2 تفسير العز بن عبد السلام، ج2/ص181

3 الدر المنثور، السيوطي، ج5/ص94

4 أنظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1/ ص112

وقيل في تسميتها (القرآن العظيم) لتضمنها مجمل علوم القرآن وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله عز وجل بأوصاف كماله وجلاله وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانته تعالى وعلى الابتهال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم وكفاية أحوال الناكثين وعلى بيانه عاقبة الجاحدين.

4- أساس القرآن: لأنها أصله ومنشؤه، أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى والتعبد بأمره ونهيه، مع بيان وعده ووعيده. أو لدلالتها على الصراط المستقيم، الذي جاء تفصيله في القرآن الكريم وما يشتمل على الأحكام العملية والنظرية.

عن عبد الله بن عباس ﷺ أنّه قال: (.. أساس الكتب القرآن وأساس القرآن الفاتحة وأساس الفاتحة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فإذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالفاتحة تشفى) . و عن وكيع قال إن رجلا أتى الشعبي فشكا إليه وجع الخاصرة فقال عليك بأساس القرآن قال: وما أساس القرآن قال: فاتحة الكتاب 1.

---

1 أنظر قول عبد الله ابن عباس ووكيع في: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج1/ص128

5- الشافية والشفاء: عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عن فَاتِحَةِ الْكِتَابِ : (شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاء) 1

6- الرقية: عن أبى سعيد الخدري ﷺ (أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ ﷺ انْطَلَقُوا فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ نَعَمْ وَاللَّهِ إِنِّي لَرَاقٍ وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنْ الْغَنَمِ فَانْطَلَقَ فَجَعَلَ يَقْرَأُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ○○﴾ حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلَبَةٌ قَالَ فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمْ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ اقْسِمُوا فَقَالَ الَّذِي رَقَى لا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ وَمَا

---

1 الدارمي، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل فاتحة الكتاب، رقم الحديث (3370)

يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ أَصَبْتُمْ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ)1 وفي رواية: (قلت: ألقي في روعي)2

7- الوافية والكافية : لأنها لا تتنصف ولا تحتمل الاختزال ولو قرأ أحد من سائر السور نصفها في ركعة ونصفها الآخر في ركعة لأجزأ ولو نصفت الفاتحة في ركعتين لم يجز. فهي تكفي عن غيرها وأما غيرها فلا يكفي عنها 3.

8- الكنز: عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أربع أنزلن من كنز تحت العرش لم ينزل منه شيء غيرهن أم الكتاب وآية الكرسي وخواتم سورة البقرة والكوثر)4 . ويقول علي بن أبي طالب ﷺ : نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش.5

---

1 البخاري، كتاب: الطب، باب: النفث في الرؤية، رقم الحديث (5417)؛ ومسلم، كتاب: السلام، باب: جواز أخذ الأجرة على الرقية، رقم الحديث (2201).

2 أنظر: مسند أحمد، كتاب: مسند المكثرين، باب: مسند أبي سعيد الخدري، رقم الحديث (11080)

3 أنظر: التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي، ج1/ص، 146؛ الكشف والبيان، الثعلبي ، ج1/ص127

4 رواه الطبراني وابن مردويه والديلمي والضياء المقدسي (أنظر: الدر المنثور ج1:ص17)

5 أنظر: التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج1/ص147

مكان نزول الفاتحة: الراجح أنّها نزلت في مكة المكرمة، وذلك لسببين:

الأول: لأنّ الصلاة فُرضت فيها ليلة الإسراء والمعراج. وحيث إنّ الصلاة لا تصحّ إلاّ بقراءة الفاتحة لقول النبي ﷺ: (لا صلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ)1 فمن الأرجح أن يكون نزولها في مكة المكرمة.

الثاني: لأنّ الإشارة إليها وردت في سورة الحجر ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (آية 87) وسورة الحجر من السور المكيّة بلا خلاف بين العلماء. وقيل إنها نزلت في المدينة المنورة. وهناك من وفّق بين القولين فذهب إلى أنّ سورة الفاتحة نزلت مرتين، مرّة في مكة المكرمة، ومرّة في المدينة المنورة. ومن العلماء من يرى أنّ جبريل عليه السلام لم ينزل بالفاتحة، وإنما نزل بها ملك آخر على النبي ﷺ ودليلهم ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بقوله : (بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ

1 صحيح البخاري ، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلاة (723)؛ ومسلم، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كلّ ركعة، رقم الحديث (394)

فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلاَّ أُعْطِيتَهُ)1 لكن كما هو معلوم أنّ جبريل عليه السلام نزل بجميع القرآن الكريم ومنه فاتحة الكتاب على رسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (الشعراء 193، 194) وللتوفيق بين الأقوال يرى الإمام القرطبي أنّ جبريل عليه السلام نزل بتلاوتها بمكة المكرمة، ونزل الملك بثوابها بالمدينة المنورة 2.

الآثار الواردة في فضل سورة الفاتحة : وهي كثيرة أذكر منها:

أولاً: قال رسول الله ﷺ: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَمِدَنِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي وَإِذَا قَالَ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ قَالَ مَجَّدَنِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي فَإِذَا قَالَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَالَ هَذَا بَيْنِي

---

1 صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، رقم الحديث (806)

2 أنظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1: ص112، ص116

وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ قَالَ هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)1

ثانيا: عن أبي سعيد بن المعلي ﷺ قال: (كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي فَقَالَ أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (الأنفال 24) ثُمَّ قَالَ لِي لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ أَلَمْ تَقُلْ لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ) 2

ثالثا: عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: (بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ هَذَا بَابٌ مِنْ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ

---

1 صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، رقم الحديث (395)؛ وسنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن (2953)

2 صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن, باب: و سميت أمّ الكتاب, رقم الحديث (4474)

أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلاّ أُعْطِيتَهُ)1.

** التفســـير **

﴿ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾

إنّ أول التقـاء للعبـد المـؤمن مـع كتـاب الله هـي الاسـتعاذة ، قـال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل 98) أي إذا شرعت بقراءة القرآن الكريم فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

معنى الاستعاذة: هي طلب الالتجاء إلى الله عزّ وجل، والاستعانة به، للتخلص من غواية الشيطان الرجيم المبعد عن رحمة الله، فإنّه لا يقدر عليه إلاّ خالقه، فالذي طرده من رحمته هو القادر على طرده من حياة عباده رحمة بهم، ولطفا بأحوالهم.

حقيقة الشيطان : تتضح في أمور عدّه، أذكر منها:

أولاً : الشيطان مخلوق من مخلوقات الله، جعله الله رمزاً للشر والغواية والمعصية. خلقه من جنس النّار فكان سببا في اعتراضه

1 صحيح مسلم, كتاب: صلاة المسافرين ، باب: فضل الفاتحة وخواتيم البقرة، رقم الحديث (806).

على أمر الله وامتناعه عن السجود له، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ، قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (الأعراف 11، 12، 13) وبفعل الشيطان هذا يكون قد ردّ الأمر على الآمر، و هو من أخطر أنواع المعاصي التي تصدر عن جنس المكلفين، فمعصية الشيطان هذه لا تُقارن بمعصية آدم عليه السلام، كما يتوهّم بعض النّاس في اعتقادهم بأنّ الفعل بينهما في المعصية مشترك، وذلك للأسباب التالية:

أ- إنّ آدم عليه السلام كان يُقرّ بالعبودية المطلقة لله رب العالمين، ولم يردّ الأمر على الآمر مثلما فعل إبليس، وإنما غلبت عليه طبيعته البشرية، وفترت عزيمته، ونسي في لحظة ضعف ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (طه 115) فكانت رحمة الله قريبة منه، والتوبة لصيقة به، على خلاف نوع معصية إبليس التي طُرد بسببها من رحمة الله.

ب- إنّ معصية إبليس أنشأها هو بنفسه دون تأثير المخلوقات عليه، رغبة في وقوعها، وإصراراً على ديمومتها. أمّا معصية آدم

فسببها الأول غواية الشيطان، وخداعه له، وفي لحظة ضعف أصبح الإنسان فريسة لغواية إبليس، وضحيّة لوسوسته. ومن رحمة الله عليه أن منحه سبيل النجاة والخلاص ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة 37) فكانت تلك الكلمات مفتاح باب التوبة وقبولها، وطريق الفلاح لآدم عليه السلام، ومن بعده لذريّته، وهي أوّل تجربة للخطأ في حياة البشر داخل دائرة المنهج الرباني، يُقابلها أوّل عفو وتوبة من التوّاب الرحيم، ليعشق المكلفون بمنهج الله، التوبة عند وقوعهم في الخطأ أو المعصية، فلا يأس من روح الله، وعندها تستقيم الحياة بعد اعوجاجها، ويعيش العباد في طهر بعد أن شابتهم آثام المعاصي.

ثانيا: كيد الشيطان عظيم إذا انفرد بعباد الله خارج معيته، أمّا حين يكون العبد متصلا بالله، مرتبطا بمدده، متنعما بظلال عفوه وكرمه، فإنّ كيد الشيطان ضعيف، وفعله مبتور، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء آية 76)

ومن هنا فإنّ بعض الناس وقع عنده لبس في فهم خطاب الله، فيرون أنّ كيد النساء أعظم من كيد الشيطان، لأنّ الله تبارك وتعالى

ذكر هنا أنّ كيد الشيطان كان ضعيفا، وفي موطن آخر ذكر أنّ كيد النساء عظيم، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (يوسف : آية 28) والصحيح أنّ كيد النساء عظيم مقارنة بكيد الرجال، وكيد الشيطان ضعيف مقارنة بكيد الله، أمّا إذا قورن كيد الشيطان بكيد النساء كان كيد الشيطان أعظم، بل هو الأصل في تحريك أجهزة الشرّ في الإنسان، ليجعله فريسة كيده ومكره.

ثالثاً: الشيطان عالم خفي يرانا ولا نراه، و هذا الذي أخبر عنه سبحانه بقوله: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف 27) وله تأثير بالغ في انحراف النّاس عن منهج الله، وعن صراطه المستقيم، وبسبب ذلك توالت التحذيرات القرآنيّة بأشكال متنوعة، وطرائق عدّة، لتكشف الستار عن حقيقته، لأجل الترهيب من غوايته والتحذير من مكره وكيده، ومن بين هذه التحذيرات:

1- كان الشيطان سبباً في فتنة وغواية أبينا آدم عليه السلام، فلا يبعد أن يكون سبباً في فتنة وغواية ذريّته ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ

أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف 27) وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف20)

2- يعِدُ الشيطان أتباعه بالفقر، ويأمرهم بالفحشاء، ليكونوا بين اليأس والرذيلة، فتضيق عليهم مسالك الحياة، وتنطفئ في قلوبهم شعلة الأمل، فتمضي حياتهم بلا غاية، وأحوالهم بلا مستقرّ، يفترسهم الفقر، وتحطمهم الرذيلة، بيوتهم وقلوبهم مظلمة لا يدخلها نور الإيمان، لا يُدركون طريق الخير، ولا يعرفون سبيل الهداية، إمامهم الشيطان، وأحلامهم السراب ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة 268)

3- حذّر الباري عزّ وجل عباده من اتباع خطوات الشيطان، حتّى لا يقعوا فريسة في شباكه، فهو العدو المبين لهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة 168) .

4- يبعث الشيطان الخوف والرعب في صدور أوليائه ليُلبسهم ثوب الجبن والذل. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران 175)

5- إنّ وعود الشيطان لأتباعه كاذبة، الغاية منها الخداع والتضليل. قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ (النساء 120) وكلّ وعد يقطعه على نفسه ينقضه ويتنصل من تبعاته عند حاجة أتباعه إليه، ثمّ يغدر بهم ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال 48) فهو قرين سوء لا يأتي لصاحبه إلا بالخزي والعار في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينا ﴾ (النساء 38) وقال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء 60)

6- من أسلحة الشيطان المكر والخديعة فلا يدع سبيلاً لزرع العداوة والبغضاء بين النّاس إلاّ وسلكه ﴿إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة 91)

7- إنّ للشيطان نزغات و مسّ ووسوسة تُؤثّران على الإنسان، فتتغيّر نفسيته وسلوكه ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (البقرة 275) لهذا أمرنا الله تعالى أن نستعيذ به عند حصولها, قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف 200) كما أنّ مسّ الشيطان حقيقة واقعة لذلك كانت دعوة نبيّ الله أيّوب عليه السلام فيها طلب نجاة من نصبه وعذابه، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (سورة ص41)

وعن تأثيره في الإنسان ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عن عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ وَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْلِبُهَا وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ

الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا أَوْ قَالَ شَيْئًا)[1]

8- يزين الشيطان الباطل لأتباعه ليضلهم عن الهدى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ (محمد 25) و قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (آل عمران 155) وبعد أن يكون سبباً في كفرهم يتبرأ منهم بلا حياء ولا استحياء ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (الحشر 16)

9- عقد إبليس العزم على غواية النّاس، قال تعالى: ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا، لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا، وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ ولَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ (النساء 117، 118،

---

1 صحيح البخاري ، كتاب: الاعتكاف، باب: هل يخرج المعتكف لحوائجه من المسجد، رقم الحديث (1930) ؛ وصحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: بيان أنّه يُستحب لمن رُئي خاليا بإمرأته ، رقم الحديث (2175) .

119) وفي موطن آخر قسم بعزّة الله على ذلك، وجاء الإخبار عن قسم إبليس لتوكيد حقيقة المعركة التي قصدها ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة ص 82، 83) واستثناء عباد الله المخلصين من صراعه وحربه، ليس تكرّما من إبليس، وإنّما لكونهم في حماية الله وحصنه، فلا يملك الشيطان إلى غوايتهم سبيلا، قال تعالى مخاطباً إبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر 42،43)

10- يخطب الشيطان بأتباعه يوم القيامة، ليكشف عن حقيقة كذبه وخداعه، و هذه الصورة يحدّث الله بها قبل وقوعها، رحمة بعباده ليحذروا خداعه قبل يوم القيامة، حيث لا ينفع فيه الندم. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم 22)

من هم شياطين الإنس؟

هناك نوع آخر من الشياطين غير شياطين الجنّ، و هم شياطين الإنس من أهل الغواية والضلال، فكلّ متمرد من الجنّ أو الإنس يُطلق عليه لفظ (شيطان). وهذه حقيقة دلّت عليها النّصوص الشرعيّة من القرآن الكريم والسنّة النبوية، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام 112)

وجاء في النّص القرآني تقديم شياطين الإنس على شياطين الجنّ لما لهم من خطر عظيم على عباد الله المؤمنين، وفي موطن آخر قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا

أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيم عليمٌ﴾ (الأنعام 128) وفي سورة الجنّ قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهقا﴾ (الجن 6) ومن هنا يرى بعض العلماء جَوَاز إِطلاق لَفْظ الشَّيْطَانِ عَلَى كلّ مَنْ يَفْتِنُ فِي الدِّينِ, وَأَنَّ الْحُكْمَ لِلْمَعَانِي دُونَ الأَسْمَاءِ، ولعلّ إطلاق لفظ الشيطان علَى الإِنْسِيِّ هو من قبيل المجاز [1].

أمّا في السنّة النبوية، فعَنْ أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فَسَمِعْنَا لَغَطًا وَصَوْتَ صِبْيَانٍ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا حَبَشِيَّةٌ تَزْفِنُ وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهَا فَقَالَ يَا عَائِشَةُ تَعَالَيْ فَانْظُرِي فَجِئْتُ فَوَضَعْتُ لَحْيَيَّ عَلَى مَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا مَا بَيْنَ الْمَنْكِبِ إِلَى رَأْسِهِ فَقَالَ لِي أَمَا شَبِعْتِ أَمَا شَبِعْتِ قَالَتْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ لَا لِأَنْظُرَ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ إِذْ طَلَعَ عُمَرُ قَالَتْ فَارْفَضَّ النَّاسُ عَنْهَا قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ قَالَتْ فَرَجَعْتُ [2].

---

1 أنظر: فتح الباري، ابن حجر، كتاب الصلاة، باب: يردّ المصلي من مرّ بين يديه، حديث رقم (487)

2 سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب: مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، حديث رقم (3691) وقال عنه: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

معنى الرجيم:

أي المرجوم والمبعد عن رحمة الله و عن الخير الذي أنعم الله به على عباده المؤمنين، فقد طرده اللهُ إبليسَ من رحمته بسبب تكبّره وامتناعه عن السجود لأمره، ليبقى حبيس اللعنة الإلهيّة إلى يوم الدين. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إلاّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الحجر 28-35)

حكم الاستعاذة عند قراءة القرآن :

الراجح أنّ قراءتها مستحبّة وليست واجبة، و هذا الذي ذهب إليه جمهور العلماء. وتُقرأ الاستعاذة قبل الشروع بتلاوة القرآن لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل 98) أي: إذا أردت أن تقرأ القراءة أو تشرع في قراءته أو قصدت ذلك فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

الدلالات التربوية للاستعاذة:

<u>أولا:</u> في الاستعاذة تحرير للمؤمن من تأثير الشيطان عليه، سواء في العقيدة أم في السلوك، وهي تفتح أمامه بوابة الدخول إلى ميدان المعيّة الإلهيّة، الذي يخشى الشيطان من اقتحامه، لأنّه لا يستطيع الانفراد بعباد الله مادام العبد متصلاً بربّه وموصولاً بمعيّته، و هذا كلّه يعكس جانبا إيجابيا في سلوك شخصيّة المؤمن، ويحسّن من أدائه للتكاليف الشرعية، فتستقيم بذلك حياته، وتكون أكثر إبداعا في تفاعلها مع منهج الله.

ثمّ إنّ المخلوقات قد يقدر بعضها على أذى وقهر بعضها الآخر، سواء تشابهت أجناسها أم اختلفت، خصوصاً إذا انفردت ببعضها دون معيّة خالقها، لكن لا يمكن أن يحدث ذلك الضرر لأيّ مخلوق مهما صغر إذا كان في حمى الله، وتحت رعايته جلّ في علاه. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا﴾ (الجن 13) وقال سبحانه: ﴿إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة 40) وقال تعالى مخاطبا رسوله وحبيبه محمد ﷺ ﴿ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ

مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يهْدِي الْقَوْمَ الكافرين﴾ (المائدة 67) وأخبر سبحانه وتعالى عن نبيه وكليمه موسى عليه السلام بقوله: ﴿فَأَوْجس في نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لا تخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾ (طه 67، 68) وفي موطن النصر والتأييد والتمكين لعباد الله، أكّد الحقّ سبحانه دفاعه عن المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج 38)

كما أوصى رسول الله ﷺ ابن عبّاس ﷺ بقوله: (يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) 1

---

1 سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث (2516) (قال عنه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ...) ؛ ومسند أحمد، كتاب مسند بني هاشم، رقم الحديث (2664)

وبذلك يعيش المؤمن حياته براحة بال، وسكينة نفس، وطمأنينة قلب، فلا تراوده الأوهام، ولا تعصف به المخاوف، ولا تزعزعه الظنون والشكوك، ليبقى منارة شامخة عزيزة، لا يهن ولا يحزن ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران 139) فهو الأعلى بإيمانه، الأثبت بيقينه، الأدوم في آماله، يعيش دينه لأجل ربّه، ودنياه لأجل آخرته، لا يخشى إلاّ ربّه وخالقه، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وهذه الصفات هي الأفق الذي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقه، لأجل بناء الشخصيّة الإسلامية المثلى، المكينة في عقيدتها، المنضبطة بأحكام دينها، المستقيمة على صراط ربّها.

ثانيا: للشيطان خطوات غواية حذّر منها الباري عزّ وجل بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة 168) فكما أنّ أصحاب المنهج التربوي لهم خطوات بناء متتابعة لإعداد الشخصيّة الإيمانية، يتدرجون في تكوينها لأجل تمكينها من تحقيق كمال العبوديّة لله، كذلك الشيطان له خطوات هدم وتدمير لعباد الله، يبدأ بالتصوّر، وينتهي بالفعل، وهذا الذي فعله مع أبينا آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ

وَمُلْكٍ لا يَبْلَى، فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه 121)

وسمّاها الله (خطوات) لأنّها تقع ضمن مخطط الشيطان ومنهجه، فقد لا ينتقل بالعباد مرّة واحدة من الطاعة إلى المعصية، كي لا يستيقظ فيهم الضمير الإيماني فيكونوا بعدها أقرب إلى التوبة منهم إلى التمادي في معصية الله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (آل عمران 135، 136) بل يتدرّج معهم بخطوات شيطانية من أهمّها:

1- ينتقل بهم من طاعةٍ أعلى إلى طاعةٍ أدنى، ومن فعل راجح إلى فعل مرجوح، ومن سنّة متبعة إلى بدعة محدثة، ومن محكم إلى متشابه، وهم يحسبون أنّهم يُحسنون صنعا.

2- ثمّ يدخلهم في دائرة الرخص فيُسهبوا فيها، حتّى يألفوها دون العزائم من الأحكام، فيعيشوها حيثما وجدت، سواء كانت أحكامها راجحة أم مرجوحة، لأنّ الأصل في اتباعها الهوى والهوان، وليس قوّة الدليل والبرهان.

3- يجعل نفوسهم توّاقة إلى فعل المكروهات دون المباحات، أو دون المندوبات والمستحبات، على أساس أنّ تارك المستحبات وفاعل المكروهات لا يُعذّب، إلى أن يصل بهم إلى حالة يكونوا فيها أكثر استعدادا لفعل الحرام، وهنا يفتح لهم بابه، فلا يجدوا في أنفسهم حرجا من دخوله.

4- ثمّ يتدرج معهم بخطوات شيطانية في دائرة الحرام من أدناه إلى أعلاه، حتّى يألفوا فعله، ويأنسوا بالعيش في ظلاله، فتسوَدّ قلوبهم، وتنطفئ شعلة الإيمان في صدورهم.

5- وأخيرا يجعلهم في مرحلة أشدّ جرما وجحودا، فبدل أن يألموا من فعل الحرام، فإنّهم يألمون عندما لا يفعله النّاس، بل يُحبّون أن تشيع الفاحشة بين العباد، وهنا يقعوا في دائرة الوعيد الإلهي ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ، وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور 19، 20، 21)

ثالثا: لا شكّ في أنّ الغاية العظمى التي يعشقها الأب المسلم هي صلاح أبنائه، واستقامة طريقهم لأجل مرضاة الله، لتتواصل سلسلة الإيمان بين السابق واللاحق ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (طه 21) فقد يكون للشيطان أثر في تفكك حلقات السلسلة الإيمانية، فيحرف الأبناء عن منهج الآباء، ومن هنا فقد يسّر الله لعباده سبيل حماية أبنائهم من آثار الشيطان منذ اللحظات الأولى في عالم التكوين والنشأة، قال النبي ﷺ : (لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا)1 على أن لا يفهم النّاس أنّه دعاء يقوله المسلم في تلك اللحظة خارج عن أسبابه، بل هو عنوان لموضوع إيماني تربوي، حلقاته طويلة، يمتد مع الطفل بمراحل نموّه وتطوره. فإذا دعونا الله أن يجنبنا الشيطان، فذلك من قبيل الطلب والرغبة والرجاء، بشرط أن يتبع ذلك عمل وأداء، بأن نأخذ بجميع الأسباب التي تعيننا على تجاوز تأثير الشيطان على حياتنا وسلوكنا، في مسيرة تربوية لها أهدافها

---

1 صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: ما يقول الرجل إذا أتى أهله، رقم الحديث (4870) ؛ وصحيح مسلم، كتاب النكاح، رقم الحديث (1434)

وغاياتها ومناهجها وطرائقها، مستعينين على أدائها بالله ربّ الناس، على أن لا يُفارقنا الشعور بالحاجة إلى تعزيز الاستعاذة دوما بخاتمة كتاب الله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَـهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ (سورة الناس) لتكون البداية هدفا وغاية، والخاتمة عزما وتوكيدا ومواصلة. ولعلّ تسميتها بسورة النّاس لأنّ آياتها أشدّ التصاقا بحاجياتهم ومصيرهم في معركة الاستخلاف على وجه الأرض، التي تحدّى مسيرتها إبليس يوم أن قسم بعزّة الله على غواية عباده، ليكون قسمه تعويقا للمستخلفين في الأرض، ووعد الله تمكينا لهم ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف 21)

رابعا: كانت الاستعاذة من شرّ الشيطان الرجيم، همّ امرأة عمران بعد أن وضعت ابنتها مريم عليها السلام ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران 35، 36) وفي هذا دلالة تربويّة عظيمة للآباء لأن يحرصوا على الأخذ بالأسباب الإيمانية لتربية

أبنـائهم، وأن يكـون المـدخل إلـى سـبيل صـلاحهم هـو الـدعاء لهـم ، والاستعانة بالله على صيانتهم وحفظهم ورعايتهم، حتّى لا يُصيبهم الشيطان بنُصْب و عذاب، قال تعالى مخبرا عن حالة عبده ونبيه أيوب عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (سورة ص 41)

خامسا: لأجل سلامة الأبناء من أثر الشيطان، حرص النبي ﷺ على حماية الصبيان من أن ينفرد بهم الشيطان لحظة ما، ليحول دون تأثيره عليهم، فلا يتوقف الأمر عند حدود الاستعاذة والذكر، بل ينبغي أن يتخذ الآباء إجراءات عملية تربويّة في كلّ يوم وليلة، فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما يَقُولُ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنْ اللَّيْلِ فَحُلُّوهُمْ فَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ)[1]

---

1 صحيح البخاري، كتاب: الأشربة، باب: تغطية الإناء، رقم الحديث (5300) ؛ وصحيح مسلم، كتاب: الأشربة، رقم الحديث (2012)

كلّ ذلك لأجل أن تنطلق مسيرة التربية والتعليم دون معوقات الغواية والوسوسة بعد الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ولتجد التعاليم الإلهيّة طريقها نحو حياة الأبناء وممارساتهم، منهجاً غير ذي عوج، لتستقيم حياتهم، وتصلح أحوالهم.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

اتفق العلماء على أن البسملة بعض آية من سورة النمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (النمل 30) واختلفوا في كونها آية من الفاتحة، أو من كلّ سورة أو خلاف ذلك، والأقوال في هذا متنوعة 1، ولا مجال لسرد الخلاف هنا، لأنّ العبرة بوجودها وغايتها أبلغ لدينا من سرد الخلاف حولها، مع ترجيحي للقول الذي يعدّها آية من آيات الفاتحة، و بذلك يكون عدد آياتها سبعاً. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر 78) لقوّة أدلّتهم فيما ذهبوا إليه.

لذلك فإنّ حكم الجهر بها متفرّع عن هذا الخلاف، لكنّ الذي يهمنا أنّ العلماء أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر بها في الصلاة. 2

وعن فضلها يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ: (من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ ﴿بسم الله الرحمن

---

1 أنظر خلاف العلماء في: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج1:ص17

2 أنظر: المصدر السابق ج1:ص18

الرحيم﴾ فيجعل الله له من كل حرف منها جِنّة من كل واحد)1. حيث إنّ عدد حروف البسملة تسعة عشر حرفا.

ويرى بعض العلماء أنّ البسملة جاءت بلفظ ﴿بسم الله ﴾ ولم ترد بلفظ (بالله) لأجل التبرك بأسماء الله، أو للتفريق بين التيمن واليمين، نقصد التيمن باسم الله وليس اليمين. 2 ولفظ الجلالة (الله) هو الاسم الجامع لصفات الكمال، وقيل إنّ (الرحمن) أبلغ من (الرحيم) فحينما يرد اسم (الرحمن) فهذا يعمّ برحمته المؤمن والكافر، أمّا اسم (الرحيم) فهو يخص في الغالب المؤمن.3

دلالاتها التربوية:

أولاً: إنّ البدء بالبسملة يعني الاستعانة بالله بداية كلّ أمر، و هو من قبيل التوكل على الله، لحاجة العبد إليه في قضاء حوائجه، ولأنّه سبحانه جعل في حياتنا مبدأ الأخذ بالأسباب، أمّا تحقق الفعل فلا يكون إلاّ بقدرته وتيسيره. وبقراءتها في أيّ موطن يستحضر المؤمن عظمة الله عزّ و جل ، حيث إنّ أمر الخلائق مرهون بالله وحده، فهو وحده الآمر النّاهي، ولا يسع العباد إلاّ التسليم المطلق

---

1 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج1:ص18

2 أنظر: تفسير البيضاوي ج1: ص28

3 تفسير البيضاوي ج1:ص39

لأوامره ونواهيه، الأمر الذي يمنعهم من التسمية على كلّ فعل محرّم لامتناع ذلك شرعا وعقيدة، لأنّ العبد إذا أقبل على فعلٍ ما، وقال (بسم الله) فقد دخل على الفعل باسم الله الذي سخّره له، فالذبائح - مثلاً - حرام أكلها من غير ذكر اسم الله، مع أنّ ذاتها واحدة بوجود التسمية أو عدمها، لكن ذكر اسم الله عند الذبح يفتح باب الحلال، لأنّه سبحانه الذي أباح لنا أكلها، فاستحضار اسمه عند الذبح يعني استحضار الحكم الذي لا يملك حقّ تقريره إلاّ الله وحده. فلا يتجاوز المؤمن حدوده بعد ذكر اسمه, أو يخالف تعاليمه وأحكامه، و هذا الأمر ينعكس على سلوك وسيرة العارفين بالله، الخاضعين لمطالبه، المتصلين بأحكامه، المتوكلين عليه، والمستعينين به.

<u>ثانياً:</u> افتتح الباري عزّ وجل بها مسيرة التعليم الإسلامي عندما أمر رسوله الكريم ﷺ بالقراءة في غار حراء بقوله: ﴿اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق 1) فكان طلبه سبحانه ناشئا عن قدرته المطلقة، بينما كان رسوله ﷺ عاجزاً عن القراءة لغياب أسبابها، فمع أن جبريل عليه السلام جزم بالأمر وكرره ثلاث مرات، لكنّ النبي ﷺ امتنع عن القراءة عند كلّ أمر، فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلاّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءً

فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ اقْرَأْ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾..)[1]

فامتناع النبي ﷺ عن القراءة كان من صدقه في كشفه عن حقيقة حاله وعجزه, ولأنّه محكوم بقانون الله في حدوث الأشياء بأسبابها، وبذلك يكون طلبُ الباري عزّ وجل وفق قدرته المطلقة التي لا يحكمها شيءٌ سواه، وعدم قدرة النّبي ﷺ عن القراءة نشأ عن عجز البشر من فعل الأمر دون الأخذ بأسبابه، فجاء الأمر بالقراءة مقروناً ﴿بسم الله﴾ ليكون غير الممكن ممكناً في حدوثه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ولا مانع بعد ذلك من أن تكون الوسائل التربوية والتعليمية سبيلاً لتحقيق ذلك عودة إلى الربط بن السبب والمسبب

1 البخاري، كتاب التعبير، باب: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ ، رقم الحديث (6581)؛ ومسلم ، كتاب الإيمان، باب: بدئ الوحي، رقم الحديث (160)

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق 3،4،5)

﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

بدأ الله تعالى فاتحة كتابه الكريم - بعد ذكر البسملة - بالحمد والثناء على نفسه لاستحقاقه كمال ذلك دون سواه، لأنّه الربّ الخالق الرازق المتفضل بنعمه على عباده. فيكون حمد العبد الشاكر لله محاطاً بسياج الربوبيّة الحافظ له، ولا يكون كمال الحمد إلاّ لكمال المحمود.

وظاهر الآية فيها ثناء الله على نفسه، إلاّ أنّها متضمنة في دلالتها أمره عباده لأن يثنوا عليه. ولم يذكر الباري عزّ وجل هنا وقتا أو مكانا للحمد، وإنّما ذكره في موطن آخر بظرفه المكاني بقوله: ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (الروم 18) وبظرفه الزماني بقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الاسراء70)

وفي الحمد ثناء على المنعم المتفضل، وشكر له على عظيم عطائه، يقول النبي ﷺ : (الحمدُ رأسُ الشكرِ ما شكَرَ اللَّه عبدٌ لا

يَحْمَدُهُ)1 ويقول الإمام الغزالي: (والشكر من المقامات العالية و هو أعلى من الصبر والخوف والزهد وجميع المقامات، لأنه غير مقصود لنفسه وإنما يُراد لغيره، فالصبر يراد به قهر الهوى، والخوف صوت يسوق الخائف إلى المقامات المحمودة، والزهد يصرفه عما يشغله عن الله، وأما الشكر فمقصود في نفسه وذلك لا ينقطع في الجنة، فكان آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) 2

وما من شيء في الكون إلاّ يسبّح بحمد الله ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الاسراء 44) فالحامد لله هو العبد المقرّ بكمال نعمته، المتيقن بأنّه سبحانه مصدر كلّ نعمة في الوجود ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (النحل 53) ولا حصر لنعمته ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل 18)

---

1 رواه عبد الله بن عمرو بن العاص من حديث عبد الله ابن عباس (أنظر: مشكاة المصابيح، التبريزي، ج2/ص714، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، ج3/ص104، تخريج الأحاديث والآثار، جمال الدين الزيلعي، ج1/ص25، وفيض القدير، المناوي، ج6/ص75)

2 انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي ج1/ص508

لذا يلزم العبد المؤمن أن لا يدع سبيلاً يحقق فيه كمال الحمد إلاّ وأخذ به. فسلامة الاعتقاد بالله بكلّ صورها، وحسن الأداء للعبادات بجميع أشكالها، يُحققان جانباً من جوانب الحمد للمنعم المتفضّل، إضافة إلى الحمد المتصل بالنّعم التي أنعمها الله على عباده بما رزقهم من مقومات الحياة، وأسباب البقاء فيها.

عن ابن عمر ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ : (أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَالَ يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَا يَا رَبَّنَا إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ مَاذَا قَالَ عَبْدِي قَالا يَا رَبِّ إِنَّهُ قَالَ يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا) 1

وعن أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ قال: (لو أن الدنيا كلها بحذافيرها بيد رجل من أمتي ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك كله)2. لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى قال الله

---

1 ابن ماجة، كتاب: الأدب ، باب: فضل الحامدين، رقم الحديث (3801)

2 كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، المتقي الهندي، ج3/ص103، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، الترمذي، ج2/ص267.

تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (الكهف 46) وهل هناك أعظم من الحمد لأن يكون رصيدا للمؤمن في سجلّ الباقيات الصالحات من أعماله.

يقول الفضيل بن عياض: (لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا ولا أحاسب بها في الآخرة لكنت أقتذرها كما يقتذر الرجل الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه)1. ولعلّه أراد أن يؤكد على شدّة حذره منها لما فيها من الفتن الملهية، ولأنّها في الغالب تشغل الإنسان عن ذكر الآخرة والاستعداد لها، والتزود لأجلها.

وحمد العبد لله في الدنيا الثناء عليه رجاء رحمته وطلب هدايته ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أمّا في الآخرة فهو من قبيل شكره على صدق وعده، ونعيم جنّته ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (الزمر 74)

وهناك فرق بين الثناء والمدح، فتقول: حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه وجمال صورته، بل مدحته. والله تبارك وتعالى أهل للثناء والمدح في وقت واحد، فهو المحمود على

1 جامع العلوم والحكم، أبو الفرج البغدادي، ج1/ص297

واسع كرمه وفضله، قال تعالى: ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم 34) وقال سبحانه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ (النحل 53) وكذلك هو الممدوح لجمال أسمائه وصفاته1. قال تعالى: ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف 180) وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ (الإسراء 110)

﴿ رب العالمين ﴾ الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا.2 وكلمة الرب في اللغة تُطلق على السيد المربي والمتصرف في الأمر. ومنه قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (يوسف 42) وفي حديث النبي ﷺ عن علامات الساعة عندما سأله جبريل عنها، وهو الحديث المشهور الذي رواه عمر بن الخطاب ﷺ ، قال ﷺ: (إذا

1 انظر: تفسير البيضاوي ج1:ص41، 51

2 انظر: تفسير البيضاوي ج1:ص 51، 52

ولدت المرأة ربّتها)1 وورد بلفظ (أن تلد الأمة ربّتها) 2 أي سيدتها. فالله عزّ و جل لم يخلق الخلق ثمّ يتركهم، إنّما تعهدهم بالرعاية والحفظ والتربية.

و لفظ (العالمين) يشمل في معناه كلّ موجود سوى الله تعالى 3 ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ, قَالَ رَبُّ السماوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (الشعراء 23، 24) فهو المربي لجميع العالمين، بخلقه لهم وإعداده لهم، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة التي لو فقدوها لم يمكنهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى، وتربيته تعالى لخلقه نوعان عامة وخاصة، فالعامة : (هي خلقه للمخلوقين ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا) والخاصة هي : (تربيته لأوليائه فيربيهم بالإيمان و يوفقهم له ويكمله لهم و يدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها تربية التوفيق لكل خير والعصمة عن كل شر، ولعل هذا

---

1 صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: ﴿إنّ الله عنده علم الساعة .. ﴾ رقم الحديث (4499)

2 صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان والإسلام، رقم الحديث (8)

3 انظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، ج1:ص139

المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة)1.

وأخيراً : فإنّ الحمد المتصل بتوحيد الربوبية المطلقة لله تعالى، يجعل أتباع الدين الإسلامي أظهر في دائرة التميّز العقدي، وأقدر على مواجهة الفوضى الاعتقادية التي تسود العالم بسبب بعدهم عن الوحي الإلهي، أو بسبب تحريفهم له، وهذا الذي وقع من قبل، ثمّ استمرّ بعد ذلك بأشكال مشابهة أو مختلفة، سواء في أوساط أهل الشرك حيث دعواهم في تبرير عبادتهم للأصنام ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (الزمر 3) أو في أوساط المنحرفين عن منهج الله من أهل الديانات السابقة الذين ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة 31)

دلالاتها التربوية :

أولاً: في توحيد الربوبية تخفيف على العباد من زحمة الأرباب المتفرقة، الباعثة للحيرة والشكّ في خضمّ تعددها، وتفاوت مطالبها، وتباين مراتبها. قال سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ

1 تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ج1:ص39

إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون 91) وهذا الفساد في الاعتقاد يُحدث خللاً كبيرا في صياغة الأهداف التربوية واستقرارها، وكذلك في تقرير المناهج المتصلة بها، بسبب المفارقات الهائلة في ميدان الفكر البشري، حيث تخيّم الأوهام، وتسود الظنون، ويتفاقم الشك في مصداقية القيم التربوية المتمخضة عن أصل العقيدة التي انحرفت وفسدت بسبب الشرك بالله تعالى. قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء 22)

ثانياً: إنّ الإيمان المطلق بصفة الربوبيّة، يجعل جميع الخلائق في دائرة واحدة، لأنّها جميعا - بتنوعها وتباينها- من صنع الله، ولا غرابة من أن تنشأ بينها صلة إيمانية من نوع معين، فلا نُريد أن نبعد في تقرير الحقائق دون تعزيزها بصحيح الدلائل عن رسول الله ﷺ ، فعن أَنَس بن مالك رضي الله عنه قال: (خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ أَخْدُمُهُ فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ رَاجِعًا وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ قَالَ هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ)1 ليعبّر عن حقيقة المشاعر الإيمانيّة المتوهجة التي لم

1 صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل الخدمة في الغزو، رقم الحديث (2732) ؛ وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب: أحد جبل يحبنا ونحبّه، رقم الحديث (1393)

يُخفها النبي ﷺ رغم غرابتها في ظاهر أمرها، كما لم يكتم ذلك الجذع من النخل الذي كان يخطب من فوقه رسول الله ﷺ يوم الجمعة في مسجده، مشاعره وأحاسيسه (وهو الجماد) نحو أنيسه وحبيبه المصطفى محمد ﷺ فانطلقت منه نغمات الحزن والحنين بعد أن غادره النبي ﷺ ليرتقي منبره الجديد. فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قال: (كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ (من الحنين) حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ)1. وفي رواية ابن ماجة والإمام أحمد أنّ النبي ﷺ قال بعد أن احتضنه: (لو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة)2

1 صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوّة في الإسلام، رقم الحديث (2392)؛ وسنن الترمذي (عن ابن عمر) كتاب الجمعة، باب: ما جاء في الخطبة على المنبر، رقم الحديث (505)

والعشار هي: الحوامل من الإبل التي قاربت الولادة (انظر: فتح الباري ، ابن حجر، ج2/ص400)

2 ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة والسنّة فيها، باب: ما جاء في بدء شأن المنبر، رقم الحديث (1415)؛ والإمام أحمد، كتاب مسند بني هاشم، باب: بداية مسند عبد الله ابن عباس ﷺ، رقم الحديث (2396)

لتدلّ هذه الآثار وغيرها ممّا لا يتسع المجال لسردها، على حقيقة العلاقة الإيمانيّة بين العابدين لله، المسبحين لعظمته ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الاسراء 44) الساجدين له وحده ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (الحج 18) على الرغم من تباين السمات والصفات والخصائص. و هذا الاعتقاد يعزز سمة الشموليّة في الفكر التربوي الإسلامي، فلا يقف أصحابه عند حدود الملموسات والمشاهدات فحسب، بل ينبغي الانبساط في ظلال القيم التربويّة الإيمانيّة التي أضفتها عقيدة الإسلام، ليكون العقل البشري في متسع من النظر والقياس والاستنتاج، وبالتالي يكون أقدر على التحديث والتجديد في مظلة النهج الإلهي، وأمكن في التفاعل مع معطيات الحياة بكلّ جوانبها الإيجابية، وأقوى في مواجهة ومعالجة سلبياتها من غير إفراط أو تفريط. وفي ظلّ هذا الاعتقاد فإنّ عناصر الكون تكون جميعها متساندة وليست متعاندة، وهي بالنسبة للمؤمن باعث أنس وراحة وسعادة، وبوجودها تكتمل مقومات استخلافه في

الأرض ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (لقمان 20)

﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾

قال عبد الله بن عباس ﷺ: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، أي أكثر رحمة.1 وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (من لم يَسْأَلْ اللَّهَ يَغْضَبْ عليه)2 و عن عبد الله بن المبارك قال: (الرحمن إذا سئل أعطى والرحيم إذا لم يسأل يغضب)3

فسؤال المخلوق للمخلوق سؤال الفقير للفقير، والرب تعالى كلما سألته رضي عنك وأحبك، والمخلوق كلما سألته هنت عليه وأبغضك ومقتك وقلاك، ويقال أحب الناس إلى الله من سأله، وأبغض الناس إلى الناس من احتاج إليهم وسألهم، قال الشاعر:

لا تسألن من ابن آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب

---

1 انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1:ص19

2 سنن الترمذي، كتاب : الدعوات، رقم الحديث (3373)

3 عمدة القاري، العيني، ج18/ص79؛ تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله، ج1/ص25

الله يغضب إن تركت سؤاله   وبني آدم حين يسئل يغضب 1

واختلف العلماء في دلالة الرحمن والرحيم، هل الرحمن والرحيم بمعنى واحد فجمع بينهما تأكيدا أو بينهما مغايرة بحسب المتعلق؟ فالله رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لأن رحمته في الدنيا تعم المؤمن والكافر وفي الآخرة تخص المؤمن، أو التغاير بجهة أخرى فالرحمن أبلغ لأنه يتناول جلائل النعم وأصولها، تقول فلان غضبان إذا امتلأ غضبا. وأردف بالرحيم ليكون كالتتمة ليتناول مادق.2

أمّا عن تلازم الصفتين (الرحمن الرحيم) مع لفظ الجلالة (الله) فيرى بعض العلماء أنّ الله وحده المختص باجتماع هاتين الصفتين. فمن الجائز أن يوصف عبد من عباد الله بأنّه رحيم، حيث وصف الله نبيّه بذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة 128) لكن من الممتنع من النّاحية الإيمانيّة أن يوصف عبد من عباده بأنّه رحمان.3 يروي النبي ﷺ عن ربّه فيقول: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

---

1 انظر: مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر الزرعي، ج2/ص131، والمستطرف ، أبو الفتح الأبشيهي، ج2/ص116

2 انظر: فتح الباري ج8/ص155

3 انظر تفسير: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج1، تفسير الفاتحة.

أَنَا اللَّهُ وَأَنَا الرَّحْمَانُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ)1

وفي الآية ﴿الرحمن الرحيم﴾ وصف الله نفسه بأنه الرحمن الرحيم، بعد أن وصف نفسه بأنّه ﴿رب العالمين﴾ و هي من قبيل الجمع بين الترهيب والترغيب، ليجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه، و هذا أعون على طاعة الله، وأمنع لمعصيته2، كما قال تعالى: ﴿نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيم ﴾ (الحجر 49، 50) وقال سبحانه: ﴿ غافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِير﴾ (غافر 3)

وعن أبي هريرة - من رواية الإمام مسلم والترمذي- أنّ النبي ﷺ قال: (لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ)3، وزاد

---

1 سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في قطيعة الرحم، رقم الحديث (1907)؛ وسنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب: صلة الرحم، رقم الحديث (1694)

2 أنظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1:ص139

3 صحيح مسلم، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنّها سبقت غضبه، رقم الحديث (2755) ؛ وسنن الترمذي، كتاب الدعوات، رقم الحديث (3542)

الإمام أحمد في روايته: (..خَلَقَ اللَّهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَوَضَعَ رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ يَتَرَاحَمُونَ بِهَا وَعِنْدَ اللهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ رَحْمَةً)1

دلالتها التربوية:

(الرحمان) و (الرحيم) صفتان من صفات الله عزّ وجل، تعززان الثقة المطلقة في قدرته سبحانه على تلبية جميع حوائج العباد، فكما حمدناه لأنّه ربّ العالمين، نحمده كذلك لأنّه رحمان ورحيم، نحمده في اليسر والعسر، في المنشط والمكره، في السقم والعافية، في الفقر والغنى، في الخير والشر، فعن صُهَيْبٍ الرومي، قال : رسول اللَّهِ ﷺ : (عَجِبْتُ لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ان أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ له خَيْرٌ ليس ذلك لأَحَدٍ الا لِلْمُؤْمِنِ ان أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ وكان خَيْراً وان أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ وكان خَيْراً) 2

وظلال رحمته يتسع ليشمل جميع خلائقه، وجميع حوائجهم، من غير عجز ولا نقص ولا نفاذ. فديننا دين رحمة، للعالمين بعموميته، وللمؤمنين بخصوصيته، وحينما يرى الناس خلاف ذلك، فلنعم أنّ الخلل قد وقع، إمّا في التصور أو في الأداء، في العقيدة أو في

---

1 مسند أحمد، باب: باقي مسند المكثرين، باب: باقي المسند السابق، رقم الحديث (8210)

2 مسند الإمام أحمد، ج4/ص 333

العمل، عندها ينبغي أن نعيد جميع موازين البشر إلى ميزان واحد، هو ميزان ربّ البشر ﴿الرحمان الرحيم﴾ العادل في أحبابه وأعدائه، في أهل طاعته وأهل معصيته.

وفي صفتي (الرحمان الرحيم) ظلال وافر لمن أراد أن يستظلّ بهما، وكفاية للطالبين رحمته، والسائلين كرمه، والمستعينين بقدرته، خصوصاً إذا بعدت عليهم الشقّة، ونأت بهم قسوة الحياة, وأقلقهم المصير المجهول، فبمنهج الله يمضي العباد ليأنسوا مسيرة الحياة, وطمعاً في رحمته يتهيأ العاملون لما بعد الموت ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (الصافات 61) ليشمل الهدف التربوي متطلبات الدنيا والآخرة من غير إفراط ولا تفريط، قال تعالى: ﴿وابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنس نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص 77)

وهذا التصوّر يعزز في النفس الإيمانيّة الثقة الكاملة بكفاية المصدر، وسلامة المورد، فلا ينبغي الاستطراد فيما وراء ذلك، خصوصاً في ميدان التربية والتعليم، كما يذهب بعض المفكرين إلى إيجاد التزاوج بين العقائد وإن تباينت، وبين المناهج وإن تباعدت، والعزم على إحداث التساند بين المتضادات، والتواد بين المتنافرات،

والمزج بين المتغايرات، كلّ ذلك على حساب مقدرات الأمّة من منهج الله تعالى، ونصيبها من رحمة الله، وليس هناك أبلغ من خطاب الله تعالى في مواجهة ذلك، حيث يقول: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (العنكبوت51، 52)

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

المالك هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنه (يأمر وينهى ويثيب ويعاقب ويتصرف بمماليكه بجميع أنواع التصرفات وأضاف الملك ليوم الدين وهو يوم القيامة يوم يدان الناس فيه بأعمالهم خيرها وشرها لأن في ذلك اليوم يظهر للخلق تمام الظهور كمال ملكه وعدله وحكمته وانقطاع أملاك الخلائق حتى إنه يستوي في ذلك اليوم الملوك والرعايا والعبيد والأحرار كلهم مذعنون لعظمته خاضعون لعزته منتظرون لمجازاته راجون ثوابه خائفون من عقابه فلذلك خصه بالذكر وإلا فهو المالك ليوم الدين ولغيره من

الأيام).1 وكذلك فإنّ إضافة الملك ليوم الدين، لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئا ولا يتكلم أحد إلا بإذنه سبحانه جلّ في علاه، قال تعالى ﴿يوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبأ 38) وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه 108) وقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (هود 105)

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (يقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ)2 وعنه أيضا عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ، لا مَالِكَ إِلاّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)3 وعنه كذلك،

---

1 تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان السعدي، ج1:ص39، وأنظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج1:ص 25،26

2 صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة﴾ رقم الحديث (4534) ؛ وصحيح مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنّة والنار، رقم الحديث (2787)

3 صحيح البخاري، كتاب: الآداب، رقم الحديث (5853) ؛ وصحيح مسلم، كتاب: الآداب، باب: تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك، رقم الحديث: (2143) . واللفظ لمسلم.

قال ﷺ: (أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ لا مَلِكَ إِلاّ اللَّهُ)1

وربما يقول قائل: كيف قال الله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ ويوم الدين لم يوجد بعد فكيف يصف نفسه بمالك يوم قبل أن يوجد؟ والجواب على ذلك هو: أنّ الوعد الإلهي واقع لا محالة في ذلك ولا ريب، حيث لا عبرة بالزمن في تحقق وقوعه في ميدان القدرة الإلهيّة المطلقة، فقدرة الله على إحداث الأمر واحدة، سواء كان في الماضي أم في الحاضر أم في المستقبل، وحديثه عن أمر مضى مثل حديثه عن أمر سيقع في المستقبل، لأنّه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾ (يس 82) ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام 73) فهو سبحانه يملك الأمر الذي وقع، ويملك ما هو واقع الآن، ويملك ما سيقع في مستقبل الزمان، في أيّ مكان كان.

---

1 صحيح مسلم، كتاب: الآداب، باب: الآداب، باب: تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك ، رقم الحديث (2143) ؛ ومسند أحمد، كتاب: باقي مسند المكثرين، رقم الحديث (27393)

(يوم الدين) اليوم عبارة عن وقت طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس فاستعير فيما بين مبتدأ القيامة إلى وقت استقرار أهل الدارين فيهما، وقد يطلق اليوم على الساعة منه كما قال الله تعالى: ﴿اليومَ أكملتُ لكم دينَكم﴾.(المائدة 3)

و(الدين) هو الجزاء على الأعمال والحساب. قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (النور 25) أي حسابهم. وقال ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (غافر 17) وقال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ، يقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ، أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُون ﴾ (الصافات 51- 53) أي مجزيون محاسبون. 1

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ شاهد على هذا المعنى، وفيه يقول: (الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ) 2 أي حساب نفسه في الدنيا قبل أن

---

1 انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1:ص143، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج1:ص26.

2 سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث (2459) (وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ) .

يحاسبه الله يوم القيامة. ويُروى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنّه قال: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا) قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة 18) وكذلك يُروى عن ميمون بن مهران أنّه قال: (لا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كَمَا يُحَاسِبُ شَرِيكَهُ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَمَلْبَسُهُ)[1]

وفي الآية قراءة أخرى بلفظ ﴿ملِك يوم الدين﴾ بكسر اللام، فالمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء من الملك، والملك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك[2].

ودلالة القراءتين هو الجمع بين الملك المطلق والحكم المطلق لله تعالى وحده، لأنّ المالك يملك وقد لا يحكم، والمَلِك يحكم وقد لا يملك، وبما أنّ الله عزّ وجل له الملك والحكم، فهو مالك ليوم الدين، وملِك يوم الدين، بلا شريك أو منازع.

وملك الله ليوم الدين يعني انفراده بالتصرّف المطلق في أمر الخلائق التي تفد إليه فيه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر 16) وقال

---

1 المصدر السابق.

2 انظر: تفسير البيضاوي، ج1/ص54-57

تعالى: ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (الانفطار 19) وفي ظلال هذا الاعتقاد، لا مناص للعباد من اختيارٍ صائب في العقيدة والعبادة، ليكون أمرهم أقرب إلى برّ الأمان، منه إلى حافّة الهاوية .

دلالاتها التربوية:

أولاً: إنّ الذي يؤمن بيوم الدين، يكون أقدر على خوض صراع التجاذب بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة، وعلى الموازنة بين عناصرهما، فالاعتقاد الجازم بعالم الآخرة سلاح المؤمن في معركة الريب التي تعصف بالبشرية في ظلّ غياب اليقين، وفي ظلّ زعزعة العقائد في نفوس البشر عندما تبعد عن منظومة العقيدة التي أرسى قواعدها الوحي الإلهي.

ولأجل أن تكون حركة العباد في الحياة متناسقة في خطواتها، متناغمة في عناصرها، خاضعة لسنن الله الكونية والشرعية، لابدّ أن يكون مبدأ التوازن بين مطلبي الدنيا والآخرة منطلقا نحو فاعلية العباد في إطار منهج تربوي فاعل، قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المؤمنون 77) ليبقى نصيب الآخرة هو الابتغاء (وابتغ) ونصيب الدنيا هو

التذكّر (ولا تنس) واجتهاد العباد بين مراد المطلبين شرطه أن لا يطغى أحدهما على الآخر، وفي ضوء هذه النظرة المتوازنة تُصاغ الأهداف التربوية، والمناهج المناطة بها، من غير إفراط ولا تفريط.

ثانياً: إنّ الاعتقاد المطلق بملك الله ليوم الدين يعمّق الشعور بالحاجة إلى رحمة الله خصوصاً في ذلك اليوم، لأنّ الغنيّ والفقير فيه سواء, فالكلّ مجرّد من التملك وأسبابه. وهذا الشعور يخفف من معياريّة التفاضل بين النّاس في الدنيا على أساس التفاوت بين الفقراء والأغنياء، أو بين الحاكم والمحكوم، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات 13) وقال ﷺ: (إن ربكم واحد وأباكم واحد ولا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا احمر على اسود ولا اسود على احمر إلا بالتقوى)1

كلّ ذلك يخفف من الرغبة الجامحة في حبّ التملك والسلطان. فالملك والحكم لا يدومان لأحد، والنّاس جميعاً أمناء على ملك الله وعلى عباد الله، فالمسؤولية هنا مسئوليّة تكليف لا تشريف، و هذا الشعور يجعل الشخصيّة الإسلاميّة أقرب إلى التحرر من أنانيّة

1 المعجم الأوسط ج5/ص86

الذات، وتغليب مصالحها، ليكون المرء أقلّ رغبة في استعباد النّاس، سواء في سلطان المال أو الجاه أو الحكم.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُد وإِيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾

عندما يتلو العبد في الصلاة ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ مالك يوم الدين﴾ فإنّ فكره يجوب في مقام الغَيْب، فإذا ذكر ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كأنّه ينتقل من ميدان الغيب إلى مقام الحضور، لتعلو درجاته، ويزداد قربه من مولاه وسيده. ولهذا عندما سأل جبريلُ النبيَّ ﷺ عن الإحسان، قال له ﷺ: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك)1

ولأهميّة هذه الآية يقول بعض السلف: الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ 2

وتقديم العبادة على الاستعانة هنا هو من باب تقديم العام على الخاص، واهتماما بتقديم حق الله على حق عباده. وكذلك من قبيل تقديم الوسيلة على طلب الحاجة، وهذا أدعى للقبول والإجابة. وكذلك لتكون جميع عناصر العبادة والاستعانة محصورة لأجل الحقّ

---

1 انظر تمام الحديث في: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، رقم الحديث (50)؛ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم الحديث (8)

2 انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج1/ص26

وحده دون سواه. فلو قلنا (نعبد إيّاك) لكان من المحتمل أن تُصرف وجهة العبادة لغير الله، وهذا ممتنع في حقّ الله سبحانه. وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك.1

ومعنى: ﴿إياك نعبد﴾ أي نخصّك وحدك بالعبادة والطاعة ﴿وإياك نستعين﴾ نطلب منك وحدك العون والتأييد والتوفيق. فالفخر أن نكون عبادا لله، والمذلة بخلافها، يقول علي بن أبي طالب ﷺ: (كفى بي فخرا أن أكون لك عبدا وكفى بي شرفا أن تكون لي ربا) 2. وجاء لفظ الخطاب بـ (إيّاك نعبد) ولم يرد بلفظ (إيّاه نعبد) للدلالة على أنّ المعبود – وهو الحقّ سبحانه – حاضر في الذهن والفؤاد، لا يغيب حضوره عن ميدان العبادة والاستعانة.

وورد الخطاب بصيغة الجمع (نعبد) للتوكيد على جماعيّة العبادة والوجهة والاستعانة، وللدلالة على أهميّة الجماعة في صيانة وحماية وتعزيز عبادة الفرد داخل مجموعته، ثمّ شموليّة البركة والرحمة الربانيّة لعباد الله المجتمعين على ذكره وطاعته. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا

1 انظر: تفسير البيضاوي ج1:ص70،69، وتفسير السعدي ج1/ص39

2 التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي، ج1/ص203

هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنْ النَّارِ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلائِكَةِ فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)1

1 صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب : فضل ذكر الله عزّ وجل، رقم الحديث (6045)؛ ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، رقم الحديث (2689)

الدلالات التربوية:

أولاً: أفاد التخصيص في (إيّاك نعبد وإيّاك نستعين) الحصر المطلق للعبوديّة والاستعانة، وهي غاية عظمى يسعى إليها أصحاب الفكر التربوي الإسلامي، لأنّه في ظلّ هذا الاعتقاد تتحرّر مسيرة الفكر الإسلامي من الأوهام والخرافات التي تنشأ خارج هذا المعتقد، ومن قلق الحيرة حينما لا تكون الاستعانة بالله سبحانه، فلا خضوع إلاّ لله، ولا تذلّل لأحد سواه، ولا سجود إلاّ لعظمته سبحانه، فالله ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد 3) وفي ظلّ هذا التصور تكون الشخصيّة الإيمانية أكثر استقرارا، وأشدّ تثبيتا، وأقدر على مواصلة طريق الحياة في ظلال منهج الله بكلّ ثبات ويقين،حيث لا يعتريها ضعف،ولا يُفزعها قلق،ولا يغشاها ريب. قال تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران 139)

ثانياً: كون أنّ الله تعالى وحده هو المعبود، فيه جانب ترغيبي، فهناك فرق بين عبوديّة الإنسان للإنسان، وبين عبوديّة الإنسان لله، فعبوديّة الإنسان للإنسان بغيضة، لأنّها تُعطي خير العبد لسيّده، أمّا عبوديّة الإنسان لله فهي محبوبة، لأنّها تُعطي خير الله لعبده، ويُعدّ

هذا الترغيب من الحوافز الهامّة نحو تحقيق الهدف التربوي الشامل ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات 56)

ثالثاً: تورث العبوديّة لله حريّة للمكلفين، على خلاف عبوديّة البشر لبعضهم، التي تُورث لهم المذلّة والمهانة، فالذي يكون عابداً لله، ينطلق بحريّة العبوديّة في آفاق الكون والحياة، لا يخشى ولا يخاف أحداً من الخلق، ولا يخضع لسلطان غير سلطان الله، ولا يرضى بحكم غير حكم الله، وبذلك يتحرر الإنسان عقيدة وسلوكا من ذلّ العبودية لغير الله، و هذا هدف تربوي سامي، ليكون الله وحده الأمل المنشود، والغاية العظمى.

ولعلّ في موقف السحرة مع فرعون – ربّهم المزعوم – لحظة انفجار بركان الإيمان في صدورهم، خير شاهد على تصور المساحة الشاسعة بين شخصيتين وعقيدتين وسلوكين، كلّها انبعث من ذات واحدة ، لم تتغيّر في شكلها ولا في هيئتها، وإنّما تغيّرت بعقيدتها وتصورها وولائها، قبل لحظات كان سقف إيمانهم ربّهم الأعلى في زعمه، الأدنى في حقيقته، فرعون، رمز الطغيان في الأرض، وبعد لحظات يتبدل الموقف، وتجري الرياح بما لا تشتهي سفينة فرعون، فيجد الإيمان بالله، الأعلى في حقيقته، طريقه إلى قلوب السحرة، وإذا بالعالم يقف أمام رمز التحدي لطاغية الأرض، وأمام ملحمة

إيمانية، انتصرت فيها قيم الحقّ الثابتة الباقية، على قيم الباطل الزائلة الفانية ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ (الرعد 17)

ومشهد الصراع بين الحقّ والباطل، يصوّره الباري عزّ وجل في سورة (طه) بقوله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ ألقى، قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ، فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى، قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ، قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه 65- 73) فلا إيثار للزائل على حساب الباقي، ولا للذلّ على حساب الكرامة، إنّه لمشهد حيّ متجدد، يحكي لأجيال الإيمان ملحمة انتصار اليقين على الريب، والإيمان على الكفر، والحقّ على الباطل. فما أحقر الحياة إذا كان الذلّ ثمن العيش فيها،

وما أكرم الموت إذا كان ثمنا لكرامة النفس وعزّتها، فكم من حيّ يعيش ميتا، وكم من ميت يعيش حيا ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران 169)

رابعاً: ما دمنا قد خصصنا الله وحده بالعبادة وحده، فلا مفرّ من حتميّة الصراع الموصول بأسبابه بين أهل الحقّ، جماعة: ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ الذين يرغبون أن يكون الدين كلّه لله - وهذا حقّ له سبحانه- وبين أهل الباطل جماعة ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص 38) الذين يرغبون أن تكون العبادة لغير الله لينتزعوا حقّ الله على العباد ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات 56) وفي ظلال هذا الصراع تزداد حاجتنا إلى الله لنستعين به، خصوصا إذا ضعفنا في ميدان المواجهة بسبب بشريتنا وتأثير سماتها، لذا يلزم أصحاب الحقّ أن يعيشوا مراحل الصراع بثقة عالية دون كلل أو ملل، ليُعيدوا الحقّ إلى صاحبه ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاتَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾ (الأنفال 39).

وهذا الصراع بكلّ مراحله يقتضي أن يسبقه إعداد تربوي للقاصدين سبيل الله، لأن يستوفوا مراحل التكوين قبل التمكين، لتكون التربية الإسلاميّة بشموليتها لجميع ممارسات العباد، سابقة لمرحلة الجهاد، خصوصاً وأنّ أخلاقيات المجاهد تُشكّل جزءاً كبيراً

من نتائج النصر والتمكين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ (الحج 41).

ومن هنا ينبغي على الأمّة التي تنشد التمكين لدين الله في الأرض، أن تأخذ بأسبابه، وأهمّها: التكوين والإعداد، فبين التكوين والتمكين مسيرة طويلة وشاقّة ، لا يُدرك غورها إلاّ من عرف حقيقة نواميس الله في نصرة عباده. وشاء الله أن يضرب لنا مثلين ظاهرين، هما:

1- عن أحوال بني إسرائيل أيّام موسى عليه السلام، حيث مكنهم الله بمعجزات عظيمة، لكنّ تكوينهم التربوي، وإعدادهم السلوكي، لم يكن بالمستوى المطلوب الذي يُقابل نِعم المنعم، وكرامة المكرم، بالحمد والشكر اللازمين، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص آية 5،6) ثمّ بدأ بعد ذلك تكوينهم وإعدادهم في سلسلة شاقة وطويلة أرهقت كاهل موسى عليه السلام، تنوعت صورها في القرآن الكريم حيث لا يتسع المقام لذكرها، أوشكت نهايتها في ذلك الموقف العصيب عندما امتنعوا من دخول الأرض

المقدسة، وفي ذلك يقول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة 20-26)

فكانت حصيلة المسيرة الهائلة في زمنها وأحداثها، أن هتفوا ﴿اذهب أنت وربك.. ﴾ ليكون بعدها عزاء موسى عليه السلام، النبي المبتلى بقومه (بني إسرائيل) تلك الصرخة التي تضمنتها مناجاته لربّه في ساعة العسر ﴿قال ربي إنّي لا أملك .. ﴾

2- عن واقع أمّة محمد، التي تكونت في مسيرة إعداد تربوي وعقدي استمرت (13 سنة) على أرض مكة، وبجوار بيت الله

العتيق، وفي ظلال وحيه، قبل أن تتمكن في أرض الدولة والدعوة، في مدينة المصطفى ﷺ ، لتكون الهجرة هي الحدّ الفاصل بين التكوين والتمكين، فأكرمها الله بأن تكون خير أمّة أخرجت للنّاس ﴿كنتم كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران 110) و هي القدوة لكلّ تجمّع إيماني تشهده البشرية حتى تقوم الساعة.

خامساً: إنّ عقيدة ﴿إيّاك نعبد وإياك نستعين﴾ في بعدها التربوي، خير سبيل إلى تحرير العباد من وحشة الأساطير والخرافات. فالمخلوق لا يخشى سوى الخالق، وكلّ قوّة في الوجود إنّما هي من صنع وتقدير الباري عزّ وجل، فعلى المؤمن أن يتعرّف عليها ليسخرها ما أمكنه لتحقيق استخلاف الله له في الأرض. ومن هنا فلا يجوز لنا أن نعتقد بما قاله أهل الإلحاد من أنّ الطبيعة هي القاهرة فأطلقوا عبارة (قهر الطبيعة) على بعض الظواهر والأحداث الكونيّة. وإنّما عقيدتنا هي أنّ الله هو ربّ العالمين، له وحده القوّة القاهرة، سخّر كلّ مخلوقاته، ومن بينها الطبيعة، لتكون رهينة إرادته ومشيئته، ومن ثمّ جعل فاعليّة الوجود لكلّ مخلوقاته متساندة وليست متعاندة، يكمّل بعضها بعضا، و هذا التصوّر ضروري لأنّ

يكون جزءاً من قاعدة بناء المناهج التربويّة، ومن ثمّ تعزيز الوسائل ضمن هذا الإطار لتحقيق أفضل النتائج وأشملها.

سادساً: ﴿إيّاك نستعين﴾ تمثّل أساس المنهج الحركي لمسيرة التعليم في الإسلام، فالذي يطلب المعونة من الله يلزمه أن يستنفذ أسبابها، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال 60) فلم يطلب الله المثليّة في الإعداد، وإنّما طلب المستطاع منه، ليبلغ العبد المؤمن الأسباب المناسبة لمصاحبة المعيّة الإلهيّة، فالأخذ بالأسباب وسيلة القاصدين سبيل الحقّ، والمعية الإلهية ثمرة لطاعة أصحابه وتمام عبوديتهم، وبذلك تتحقق النتائج التربويّة بتأييد الله وعونه.

﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾

الصراط هنا بدل من الصراط المستقيم في الآية السابقة. ومعناه: دلنا وأرشدنا ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، ثمّ أدم هدايتنا عليه, فإن الإنسان قد يُهدى إلى الطريق ثم يُقطع به. وقيل: الصراط المستقيم هو القرآن الكريم، وقيل هو الإسلام، والمؤدّى في النهاية يصبّ في ذات الدلالة. أي طريق الحقّ الذي ارتضاه الله لعباده، والذي بيّنه في كتبه التي أنزلها، وبرسله الذين بعثهم.

ووصفه الله بالاستقامة لأنه صواب لا خطأ فيه ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت 42) وفي قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط﴾ تشمل جانبين ، الأول غاية هداية، أي: (اهدنا إلى الصراط المستقيم) وتعني: لزوم دين الإسلام وترك ما سواه من الأديان، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران 85) والثاني بيان هداية، أي: (إهدنا بالصراط المستقيم). أي بما فيه من تفاصيل تشمل دلالاته وأحكامه وتعليماته، علما وعملا. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى 52) وهداية الصراط المستقيم أنواعها كثيرة، من أهمّها:

1- الاهتداء إلى ما يفرّق به الإنسان بين الخير والشر بغية الاختيار بينهما. قال تعالى ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد10) وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (فصلت 17)

2- هداية بيان ودلالة، وهذا متحقق بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا

وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة 24) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء 9) وقوله عزّ وجل لرسوله ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى 52)

3- هداية توفيق، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص 56) وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت 69) وقال تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام 90) وطلب الهداية هنا إمّا رغبة بتحققها، أو زيادتها، أو الثبات عليها، أو علو مراتبها.

وهذا الدعاء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ من أجمع الأدعية وأنفعها في حياة المؤمن، ومن عظيم هذا الدعاء أنْ يوجّه الباري عزّ وجلّ عباده إليه ، فأعظم أدعية في القرآن الكريم تلك التي اختصّت بطلب الهداية واستقامة الطريق، وأعظم الطرق المستقيمة هو سبيل المؤمنين الذين أنعم الله به عليهم، خلاف سبيل المغضوب عليهم الذين حرّفوا وبدّلوا.

ولأجل تحقيق كمال العبوديّة والتوكّل لا بدّ من وضوح سبيل الهداية، ومن ثمّ بلوغ استقامة الطريق، وليس بالإمكان تحقيق ذلك

من غير صراط الله المستقيم الذي ارتضاه الله لأمّة محمّد ﷺ دون غيرها. وجاء أسلوب اختيار الصراط المستقيم بصيغة الطلب والدعاء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ لإعلام العباد أنّ مصدر الهداية هو الله، وطالب الهداية إنّما يعبد الله بطلبه واختياره لها، كما جاء وصف الصراط بالمستقيم للترغيب في اختياره، وذلك لسببين:

الأول: أنّه من عند ربّ العالمين الرحمن الرحيم، حيث يستحيل من كانت هذه صفاته أن يختار لعباده طريق الشقاء والعذاب.

الثاني: كون الصراط مستقيماً يجعل اختياره عند أهل الذوق السليم من الأمور البدهيّة التي لا يختلف فيها العقلاء. وحتّى لو لم تكن هناك آخرة كما يدعي الجاحدون المنكرون فيكفي البشريّة ربحاً أنّ حياتها تستقيم بهذا الاختيار كونه مستقيماً غير ذي عوج.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾

أي: طريق الذي أنعم الله عليهم من الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين. لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء 69)

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ أي غير صراط الذين غضب الله عليهم من الأمم السابقة، والذين ضلّوا عن سواء السبيل،

واتبعوا أهواءهم، وحرّفوا وبدّلوا وغيّروا. وقيل ﴿المغضوب عليهم﴾ المشركون ﴿الضالين﴾ هم: المنافقون. وقيل المغضوب عليهم باتباع البدع والضالين عن سنن الهدى.1 وفي الآية تحذير من اتباع سبيل المغضوب عليهم وطريق الضالين، و هذا ما و عد النبي ﷺ بحدوثه عندما تتردّى الأمّة وتنحرف عن منهج الله. فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ..)2

الدلالة التربويّة للآيتين السابقتين :

أولاً: إنّ توجيه العباد في الدعاء لطلب الصراط المستقيم، ثمّ لتحديد نوع الصراط ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ المغاير والمخالف لصراط الذين حرّفوا وغيّروا ممن سبقونا من الأمم، فيها دلالة على رغبة الحقّ سبحانه في إيضاح طريق المؤمنين، وتحريرهم من تبعيّة المغضوب عليهم والضالين، ليكون أساس تكوين المنهج التربويّ الإسلامي هو وحي الله سبحانه، وأيّ اقتباس في مكونات مناهج التربية الإسلاميّة يجب أن يخضع لضوابط العقيدة الإسلاميّة،

---

1 أنظر: تفسير الجامع الكبير، القرطبي ج1:ص150

2 صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم (3269) ؛ وصحيح مسلم، كتاب العلم، حديث رقم (2669)

ومحددات الشريعة، وذلك لتعزيز مبدأ الولاء والبراء، لعلمه سبحانه أنّ فتنة الأمّة ستكون في المغضوب عليهم، وفي الضالين، و سيكون لهم نصيب كبير في تغيير معالم الحقّ الذي جاء به الأنبياء والرسل.

ثانياً: الهداية المرغوبة الوارد ذكرها في سورة الفاتحة، هداية متميزة، خصوصاً وأنّها حُدّدت بالمغايرة مع طريق المغضوب عليهم والضالين، مع أنّها وردت في مواطن في القرآن الكريم لتقابل هداية المشركين, وكفّار العرب. ولعلّها تدلّ هنا على لزوم المفاصلة الفكريّة والسلوكيّة بين دين الإسلام الذي اختاره الله للشموليّة والبقاء, وبين الديانات السابقة له.

ومن هنا ينبغي أن يكون الحوار حوار عقائد وليس حوار حضارات، ليكون أساسه ومنطلقه وحي الله ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران 64) لذلك يلزمنا توضيح الرؤية العقدية لتحديد المواقف والعلاقات, ومن ثمّ تقرير مبدأ (الولاء والبراء) في ضوء معالم طريق الهداية الربانيّة لتحرير ذاتيّة الأمّة المؤمنة، وتعزيز قدرتها على الإبداع في شتّى ميادين الفكر التربوي، فإذا تحررت الأمّة من تبعيّتها لغيرها بفعل استقلاليّة المنهج - بعد توفيق

الله- فإنّ ذلك يُعزّز فيها القدرة على النهوض والتميّز في مسيرة التربية والتعليم.

قول (آمين) بعد قراءة الفاتحة في الصلاة:

آمين هي ختم فاتحة الكتاب، وليست آية من الفاتحة، وإنّما هي ممّا أمر النبي ﷺ بقوله في الصلاة أثناء تأمين الإمام، وبعد قوله (ولا الضالين). قَالَ ﷺ: (إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الملائكة غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)1 وقال ﷺ:(ماحَسَدَتْكُمْ الْيهودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ)2.

ومعناها: اللهم استجب لنا ما دعوناك في قولنا (اهدنا الصراط المستقيم)، فالدعاء طلب هداية، وآمين دعاء لتحقيق هذا الطلب.

---

1 صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب: جهر الإمام بالتأمين، رقم الحديث (747)؛ وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب: التسميع والتحميد والتأمين، رقم الحديث (410)

2 سنن ابن ماجة، كتاب: إقامة الصلاة والسنّة فيها، باب: الجهر بالتأمين، رقم الحديث (856)

الخاتمة

بعد توفيق الله تمّ لي إنهاء صفحات هذا الكتاب، آملا أن يكون قد أدّى الغاية التي رجوتها من إعداده، خصوصا وأنّ الفكر التربوي الإسلامي المعاصر في غالبه يعيش حالة من الانفلات والفوضى، فالرؤيا العقدية معالمها فيه غير واضحة، والضوابط الشرعية لا تحكم كثيرا من توجهاته، سواء داخل المؤسسات أو في ميادينه العامة. ولا بدّ أن يكون الفكر التربوي الإسلامي وثيق الصلة بمصادره الأصيلة، كتاب الله وسنّة رسوله، لتكون تعاليم الوحي الإلهي منبع استقاء، واليقين بالله مصدر ثقة واعتزاز، وليكون التفاؤل بالمستقبل أساسه اليقين بوعد الله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور 55)

وختاما أسأل الله أن يوفقنا للعمل بما يُرضيه، وأن يسدد خطانا على طريقه المستقيم، وأن يكتب القبول لهذا الكتاب بالقدر الذي أخلصت فيه لوجهه الكريم، فهو ولي التوفيق، والقادر عليه، وصلى

الله وسـلم علـى رسـوله الأمـين، وآخـر دعوانـا أن الحمـد لله رب العالمين.

فهرس المصادر

** إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: تأليف: أبى السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث– بيروت.

** تخريج الأحاديث والآثار فى تفسير الكشاف للزمخشري:

تأليف: جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي، دار ابن خزيمة - الرياض - 1414هـ، ط1 تحقيق: عبد الله السعد.

** تفسير البيضاوى: تأليف: البيضاوى، دار الفكر – بيروت.

** تفسير القرآن (اختصار النكت للماوردي) الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، دار ابن حزم - بيروت - 1416هـ/ 1996م، ط 1، تحقيق: د/ عبد الله بن إبراهيم الوهبي.

** تفسير القرآن العظيم: تأليف: إسماعيل بن كثير الدمشقي ، دار الفكر - بيروت - 1401.

** التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، دار الكتب العلمية/بيروت/1421هـ - 2000م، ط1

** تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: تأليف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، عالم الكتب - بيروت - 1999م، ط1، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي.

** تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: تأليف: عبد الرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت ، 2000م، تحقيق: ابن عثيمين.

** تهذيب التهذيب: تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الفكر - بيروت - 1404 - 1984، ط1

** تهذيب الكمال: يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي، مؤسسة الرسالة - بيروت 1980، ط1، تحقيق: د. بشار عواد معروف.

** التيسير بشرح الجامع الصغير: تأليف: الإمام زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الشافعي - الرياض 1988م، ط3.

** الجامع لأحكام القرآن: تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الشعب/ القاهرة.

** جامع العلوم والحكم: تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1997م، ط7، تحقيق: شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس.

** الجواهر الحسان في تفسير القرآن: تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي– بيروت.

** الدر المنثور: تأليف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت – 1993م.

** روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث– بيروت.

** سنن أبي داود: تأليف أبو داود سليمان السجستاني الأزدي (ت: 275هـ): دار إحياء التراث العربي.

** سنن ابن ماجة (ت: 275 هـ): تأليف: الإمام ابن ماجة، شركة الطباعة العربية، 1984م)

** سنن الترمذي (ت: 297هـ): الإمام الترمذي ، دار الفكر، 1983.

** سنن الدارمى (ت 255 هـ) الإمام الدارمى، دار إحياء السنة.

** سنن النسائى (ت 303 هـ) تأليف: الإمام النسائى، دار البشائر الإسلامية، 1986م.

** صحيح البخاري: تأليف الإمام البخاري، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير/اليمامة، 1987.

** صحيح مسلم: تأليف: الإمام مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي، 1972.

** عمدة القاري شرح صحيح البخاري: تأليف: بدر الدين محمود بن أحمد العينى، دار إحياء التراث العربى – بيروت.

** فتح الباري شرح صحيح البخاري: تأليف: أحمد بن على بن حجر العسقلانى الشافعي، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

** فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير:

تأليف: محمد بن على بن محمد الشوكانى، دار الفكر – بيروت.

** فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية/مصر، 1356هـ، ط1.

** فى ظلال القرآن: تأليف: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة.

** مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: تأليف: محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبو عبد الله، دار الكتاب العربى - بيروت 1973م، ط2، تحقيق: محمد حامد الفقى.

** المستطرف في كل فن مستظرف مجلدين: تأليف: شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبشيهى، دار الكتب العلمية - بيروت - 1406هـ /1986م، ط2 ، تحقيق: مفيد محمد قميحة.

** مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامى، 1985م.

** مشكاة المصابيح: تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، المكتب الإسلامي - بيروت - 1985، ط3 ، تحقيق: الشيخ ناصر الدين الألبانى.

** موطأ مالك: تأليف: الإمام مالك بن أنس (ت:179 هـ) دار إحياء التراث 1985م.

**** الكشف والبيان (تفسير الثعلبى): تأليف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابوري، دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - 1422هـ/2002م، ط1، تحقيق: ابن عاشور ، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.**

**** كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال: تأليف: علاء الدين على المتقى الهندي، دار الكتب العلمية - بيروت - 1419هـ/1998م، ط1، تحقيق: محمود عمر الدمياطى.**

**** نوادر الأصول فى أحاديث الرسول ﷺ: تأليف: محمد بن على بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي، دار الجيل - بيروت - 1992م، تحقيق: عبد الرحمن عميرة.**

برامج الكومبيوتر

المستخدمة في البحث وفي ترقيم الأحاديث

1-برنامج حرف للقرآن الكريم:

إنتاج شركة حرف لتقنية المعلومات، مصر 1998م) الإصدار (7,1)

2-برنامج حرف لموسوعة الحديث الشريف:

إنتاج شركة حرف لتقنية المعلومات، مصر 1998م) (2,1)

3-الجامع الكبير لكتب التراث العربى والإسلامى: إنتاج: مركز التراث للبرمجيات، الإصدار الثانى، 2005م.

4- المكتبة الشاملة، الإصدار الثانى.